وقال أبو عبيدة: الخجل ههنا الأشر وقيل هو سوء احتمال العناء وقد جاء عن العرب الخَجلُ بمعنى الدَّهش، قال الكُمَيْتُ:

فَلَمْ يَدْفَعُوا عِنْدَنا مَا لهُمْ ... لِوَقْعِ الحُرُوبِ ولَمْ يَخْجَلُوا

أي لم يبقوا دَهشين مَبْهوتين.

«الفرق» بين الرَّجَاء والطَّمَع أن الرَّجَاءَ هو الظَّنُّ بوقوع الخير الذي يَعْتَرِي صاحبه الشك فيه إلَّا أن ظنه فيه أغْلَبُ وليسَ هو مِنْ قبيل العلم، والشَّاهِدُ أنه لا يقال: أرْجُو أن يدخل النبيُّ الجنَّة لِكَوْنِ ذلك مُتيقَّنًا، ويقال: أرجُو أن يدخُلَ الجنةَ إذا لم يُعْلم ذلك. والرَّجَاءُ: الأمَلُ في الخير، والخَشْيَةُ والخوفُ في الشَّرِّ لأنهما يكونان مع الشَّكِّ في المرجوِّ والمخوف ولا يكون الرجاءُ إلَّا عن سببٍ يَدْعو إليه من كَرَمِ المَرْجُوِّ أو ما به إليه، ويتعدَّى بنفسه: تقول: رجَوْتُ زيدًا، والمرادُ رجوتُ الخيرَ من زيدٍ لأنَّ الرَّجَاءَ لا يتعدَّى إلى أعْيَانِ الرِّجَالِ. والطَّمعُ ما يكونُ من غير سببٍ يدعو إليه فإذا طمعتَ في الشيء فكأنَّكَ حدَّثْتَ نفْسَكَ به من غير أن يكونَ هُنَاكَ سببٌ يدعو إليه، ولهذا ذَمَّ الطَّمَع ولم يُذَمّ الرَّجَاء، والطَّمعُ يتعدَّى إلى المفعول بحرف، فتقول طمعتُ فيه كما تقولُ فرقتُ منه وحذرتُ منه، واسم الفاعلِ طَمِعٌ مثل: حذِرٌ وفَرِقٌ ودَئِبٌ إذا جعلته كالنسبة وإذا بنيتَهُ على الفعل قلت طامِعٌ.

«الفرق» بين الوجَل والأمل أنَّ الأملَ رجاءٌ يستمر فلأجل هذا قيل للنظر في الشيء إذا استمر وطالَ: تأمُّلٌ، وأصله من الأمِيل وهو الرَّملُ المستطيلُ.

«الفرق» بين اليأس والقُنُوط والخيبةِ أن القَنوطَ أشدُّ مبالغةً من اليأس وأمَّا الخيبةُ فلا تكونُ إلَّا بعد الأمل لأنها إمتاعُ نيل ما أمَّل، فأمَّا اليأسُ فقد يكون قبل الأمَل وقد يكون بعده، والرَّجَاءُ واليأسُ نقيضَانِ يتعاقبانِ كتعاقُب الخيبة والظفر، والخائبُ المنقطع عما أمَّلَ.

البَابُ العِشْرُونَ

في الفَرْقِ بَيْنَ الكِبْرِ والتِّيه والجَبْرِيَّة والزَّهْوِ وبَيْنَ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ مِنَ التَّذَلُّلِ والخُضُوعِ والخُشُوعِ والهَوْنِ ومَا بِسَبِيلِ ذَلِكَ

«الفرق» بين الكِبْرِ والتِّيه أن الكِبْرَ هو إظْهَارُ عِظَمِ الشَّأْنِ وهو في صفاتِ الله تعالى مَدْحٌ لأنَّ شأنَهُ عظيمٌ، وفي صفاتنا ذَمٌّ لأنَّ شأننَا صغيرٌ وهو أهلٌ للعظمةَ، ولسْنَا لها بأهْلٍ، والشأنُ ههنا معنى صفاته التي هي في أعلى مراتب التعظيم ويستحيلُ مساواة الأصْغر لهُ فيها على وجْهٍ من الوجُوه، والكبيرُ الشخص والكبير في السِّنِّ والكبيرُ في الشَّرفِ والعلم يمكن مساواة الصغير له، أما في السنِّ فبتضاعُفِ مُدَّة البقاء في الشخص تتضاعفُ أجزاؤه، وأما بالعلم فباكْتِسَابِ مثل ذلك العلم. والتِّيهُ أصله الحيرةُ والضَّلالُ وإنما سُمِّي المتكبرُ تائهًا على وجه

التشبيه بالضلال والتحيّر ولا يوصف الله به، والتِّيهُ من الأرض ما يتحيَّر فيه وفي القرآن: ﴿ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [المائدة:٢٦] أي يتحيَّرون.

«الفرق» بين الكِبْر والكِبْرِيَاءِ أن الكِبْرَ ما ذكرناه والكِبْرِياءُ هي العزُّ والملك وليستْ من الكبر في شيء والشاهد قوله تعالى: ﴿ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس:٧٨] يعني الملك والسلطان والعزَّة، وأما التكَبُّر فهو إظهارُ الكِبْر مثل التشجع إظهار الشجاعة إلا أنه في صفات الله تعالى بمعنى أنه يحقُّ له أن يعتقد أنه الكبير وهو على معنى قولهم تقدَّس وتعالى لا على ترفُّع علينا وتعظُّم وقيل المتكبر في صفاته بمعنى أنه المتكبِّرُ عن ظُلم عبادِهِ.

«الفرق» بين الكِبْر والجَبْرِيَّة والجبَروتِ أن الجبريَّة أبلغُ من الكبرِ وكذلك الجَبروتُ ويدلُّ على هذا فخامةُ لفظها وفخامةُ اللفظ تدل على فَخَامةِ المعنى فيها يجري هذا المجرى، ولهذا قال أهلُ العربية: الملكوتُ أبْلغُ من الملك لفخامة لفظه وكذلك الطاغوتُ أبْلغُ من الطَّاغي لفخامة لفظه، ولكن كثر استعمال الطاغُوت حتى سُمِّي كلَّ ما عُبِد من دون الله طاغوتًا وسُمِّي الشيطانُ به لشدة طُغْيانه، وكل من جاوزَ الحدَّ في ضَرْب أو معصيةٍ من الشَّرِّ والمكْروهِ فقد طَغَى، وتجبَّر أبلغ من تكبَّر، وقال بعضُ العلماء: تجبَّر الرجلُ إذا تعظَّم بالقهر وهذا يؤيد ما قلناه من أنه أبلغُ من تكبَّر لأنَّ التكبُّر لا يتضمَّنُ معنى القهر، والجبَّارُ: القهار والجبار العظيم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ [المائدة:٢٢] والجبَّارُ المتسلِّطُ في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ [ق:٤٥] وقال الجبار: القتَّال في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء:١٣٠] قالوا قتالين، والإجبارُ الإكْرَاه وجبر النقص إتمامه وجبر المصيبة رفعها بالنعمة والجِبَارةُ خشَبُ الجبر واجْتَبَرَ وتجبَّر تعظَّم بالقَهْر والجبَّار الذي لا أَرْشَ[1] فيه وقيل الجبَّار في صفات الله تعالى بمعنى أنه لا يبالي بالأذَى، وأصْلهُ في النَّخْلة التي فَاتت اليد، ويقال تجبَّر الرجلُ مالًا إذا أصَابَ مالًا وتجبَّر النَّبْتُ إذا نَبَت في يَبْسه الرَّطَب، وقال ابن عطاء: الجبارُ في أسماء الله تعالى جَلَّ اسمه بمعنى أنه يَجْبُرُ الكَسْرَ، والجبريَّة مَصْدَرٌ منسوبٌ إلى الجبروت بحذف الواو والتاء والجبروتُ أيضًا يجري مجرى المصادر ومعناه المبالغة في التَّجبُّر.

«الفرق» بين الكِبْر والزَّهْو أن الكِبْرَ إظْهَارُ عظم الشَّأْنِ، وهو فينا خاصة رفعُ النفس فوق الاسْتِحْقَاق، والزَّهْوَ على ما يقتضيه الاستعمالُ رفع شيء أتاها من مالٍ أو جَاهٍ وما أشبه ذلك، ألَا ترى أنه يقال زَهَا الرجلُ وهو مَزْهوٌّ كأن شيئًا زَهَاهُ أي رفع قَدْرَهُ عنده؟ وهو من قولك زَهَتِ الرِّيحُ الشيءَ إذا رَفَعتهُ والزَّهْوُ: التزيُّدُ في الكَلامِ.

«الفرق» بين الزَّهْو والنَّخْوَةِ أن النَّخْوةَ هو أن ينصبَ رأسهُ من الكبر ولهذا يقال: في رأسه

(١) الأَرْشُ: الشَّجَّة ونحوها- وتُطلق على دية الجراحة وتُطلق أيضًا على ما يُسترد من ثمن البيع إذا ظهر فيه عيب والجمع أُروش ويقال: أرَش فلانًا أي شجّه، وأرَش بينهم أرْشًا: أغرى بعضهم ببعض.

نَخْوٌ ويتصرف في العربية كتصرّف الزهو، فيقال نخَا الرجلُ فهو مَنْخوٌّ إلا أنه لم يسمع نخاه كذا كما يقال زهاه كذا.

«الفرق» بين النَّخْوة والخُنْزُوانة[1] أن الخُنزوانة هو أن يشمخَ أنْفَه من الكبر ويفتح مِنْخَره، ولهذا يقال في أنفه خُنْزوانة ولا يقال في أنفه نَخْوةٌ ويقال أيضًا في رأسه خُنْزوانةٌ إذا مال رأسه من الكبر شبهها بإمالة أنفه.

«الفرق» بين العُجْب والكبر أن العُجْب بالشيء شدةُ السرور به حتى لا يعادله شيءٌ عند صاحبه، تقول هو مُعْجَبٌ بفلانة إذا كان شديدَ السرورِ بها وهو مُعْجَبٌ بنفسهِ إذا كانَ مسرورًا بخِصَالها، ولهذا يقالُ أعْجَبَهُ، كما يقال سُرَّ به فليس العُجبُ من الكبر في شيء، وقال علي بن عيسى: العُجْبُ: عَقْدُ النفس على فضيلةٍ لها ينبغي أن يتعجَّب منها وليسَتْ هي لها.

«الفرق» بين الاسْتِكْبَار والاسْتِنْكَافِ أنَّ في الاسْتِنْكَافِ معنى الأَنَفَةِ وقد يكونُ الاستكبارُ طلب من غير أَنَفَةٍ وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ [النساء:١٧٢] أيس يستنكفُ عن الإقرار بالعبودية ويستكبرُ عن الإذْعَانِ بالطاعة.

«الفرق» بين الخشُوع والخضُوع أن الخشوعَ على ما قيل فعل يرى فاعله أنَّ مَنْ يخصعُ له فوقه وأنه أعظمُ منه، والخشوعُ في الكلام خاصة، والشاهد قوله تعالى: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾[طه:١٠٨] وقيل هما من أفعال القلوب، وقال ابن دُرَيْد: يقال خَضَع الرجل للمرأة وأخضع إذا ألَان كلامَهُ لها قال: والخاضعُ المُطَأْطِئُ رَأْسَهُ عنقه وفي التنزيل ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾[الشعراء:٤] وعند بعضهم أن الخشوعَ لا يكونُ إلَّا مع خَوْفِ الخاشع المخشوعَ له ولا يكون تكلُّفًا، ولهذا يضاف إلى القلب فيقالُ خشعَ قلْبه وأصله البس ومنه يقالُ قف خاشع للذي تغلب عليه السهولة، والخضوعُ هو التَّطامنُ والتَّطأْطُؤ ولا يقتضي أن يكونَ معه خَوْفٌ، ولهذا لا يجوُز إضافته إلى القلب فيقال: خضَع قلبه وقد يجوز أن يخضع الإنسانُ تكلُّفًا من غير أن يعتقد أن المخضوع له فوقه ولا يكون الخشوعُ كذلك. وقال بعضُهمْ: الخضوعُ قريبُ المعنى من الخشُوعِ إلَّا أنَّ الخضوعَ في البدَن والإقْرَارَ بالاسْتِجْدَاءِ والخشوعُ في الصوت.

«الفرق» بين التَّواضُع والتَّذلّل أن التذلُّلَ إظهارُ العَجْز عن مقاومة مَنْ يتذلَّل له. والتواضعُ إظهارُ قدرةِ مَنْ يتواضعُ له سواء كان ذا قدرةٍ على المتواضع أوْ لَا، ألَا تَرى أنه يقال: العبدُ متواضِعٌ لخَدَمِهِ؟ أي يعاملُهمْ معاملةَ مَنْ لهم عليه قُدرة ولا يقال: يتذلَّلُ لهم لأنَّ التذلُّلَ إظهارُ العجز عن مقاومة المتذلل له وأنه قاهرٌ وليست هذه صفة المِلك مع خَدَمه.

«الفرق» بين التذلُّل والذل أن التذلُّلَ فعل الموصوف به وهو إدْخَالُ النفس في الذلِّ كالتحلم إدخال النفس في الحِلْم والتذليلُ المفعول به الذل من قبل غيره في الحقيقة وإن كان من

(١) الخُنزوانة والخُنزوان: بمعنى واحد وهو الكِبْر.

جهة اللفظ فاعلًا، ولهذا يمدح الرجل بأنه متذلِّل ولا يمدح بأنه ذليلٌ لأن تَذلُّلَه لغيره اعترافه له والاعترافُ حسن، ويقال: العلماء متذلِّلون لله تعالى ولا يُقال أذلَّاء له سبحانه.

«الفرق» بين الذُّلِّ والضَّعَةِ أن الضَّعَةَ لا تكون إلا بفِعْل الإنسان بنفسه ولا يكون بفعل غيره وَضِيعًا كما يكون بفعل غيره ذَلِيلًا، وإذا غلبه غيره قيل هو ذَليلٌ ولم يقل هو وَضِيعٌ ويجوز أن يكون ذَليلًا لأنه يستحق الذلَّ كالمؤمن يصير في ذل الكُفْرِ فيعيش به ذليلًا وهو عزيزٌ في المعنى فلا يجوز أن يكون الوضيعُ رَفيعًا.

«الفرق» بين الذُّلِّ والصَّغَارِ أن الصَّغَارَ هو الاعترافُ بالذلِّ والإقْرارُ به وإظهارُ صغر الإنسان، وخلافَهُ الكِبْرُ وهو إظْهارُ عظم الشأن، وفي القرآن ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾[الأنعام:١٢٤] وذلك أن العُصَاة بالآخرة مقرون بالذل معترفون به ويجوز أنْ يكونَ ذليلٌ لا يعترفُ بالذُّلِّ.

«الفرق» بين الذُّلِّ والخِزْيِ أن الخِزْيَ ذلٌّ مع افْتِضَاحٍ وقيل هو الانْقِمَاعُ[1] لقُبْحِ الفعل، والخزايةُ الاستحياءُ لأنه انقماعٌ عن الشيء لما فيه من العَيْبِ، قال ابن درستويه: الخِزْيُ: الإقَامةُ على السوء، خَزَى يَخْزِى خَزْيًا وإذا اسْتَحْيَا من سوء فِعْلِه أو فعل به قيل خَزى يَخْزِي خِزَايَةً لأنهما في معنى واحد وليس ذلك بشيء لأنَّ الإقامةَ على السُّوء والاستحياء من السُّوء ليسا بمعنى واحد.

«الفرق» بين الضَّرَاعة والذُّلِّ أن الضَّراعَة مشتقة من الضَّرْع، والضَّرْع معرَّضٌ لحالبه، والشارب منه فالضَّارِعُ هو المنقادُ الذي لا امتناع به، ومنه التضرُّعُ في الدعاء والسؤال وغيرهما ومنه الضَّرِيعُ الذي ذكره سبحانه وتعالى في كتابه إنما هو من طعام وذل لا منفعة فيه لآكله كما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية:٧] ويجوز أن يقال التضرُّعَ هو أن يميل أصبعه يمينًا وشمالًا خوفًا وذلًّا ومنه سُمي الضَّرْعُ ضِرْعًا لميل اللبن إليه، والمضارَعَةُ المشابهة لأنه ميل إلى الشبه مثل المقاربة.

«الفرق» بين الخُضُوع والذُّلِّ أن الخضوعَ ما ذكرناه والذلُّ: الانْقِيادُ كُرْهًا، ونقيضُه العِزُّ وهو الإبَاءُ والامتناعُ والانقياد على كُرْهٍ وفاعلُه ذَليلٌ، والذَّلَالُ الانقيادُ طَوْعًا وفاعله ذَلُولٌ.

«الفرق» بين الخضوع والإخْبَاتِ[2] أن المُخْبَت هو المطمئنُّ بالإيمان، وقيل هو المجتهد بالعبادة وقيل الملازمُ للطاعة والسكون وهو من أسماء المدُوح مثل المؤمن والمتقي وليس كذلك الخضوعُ لأنه يكون مَدْحًا وذمًّا، وأصْلُ الإخْبَاتِ أنْ يصيرَ إلى خَبْتٍ تقول أخْبَت إذا

(١) الانْقِمَاعُ: انْقَمَع، أي تغيَّبَ ودخل وراء ستر، وانْقَمعَ في البيت، أي دخله هاربًا، وجلس وحْدَه.

(٢) خَبتَ: اطْمأنَّ، واخْبَتَ: خشع وتواضع. قال تعالى: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[هود:٢٣]، وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج:٣٤].

صار إلى خَبْتٍ وهو الأرضُ المستويةُ الواسعة كما تقول أَنْجَدَ إذا صار إلى نَجْدٍ، فالإخْبَاتُ على ما يوجبه الاشتقاق هو الخضُوع المستمر على اسْتواءٍ.

«الفرق» بين الإذْلَال والإهانة أن إذْلالَ الرجُلِ للرجل هنا أَنْ يَجْعلَهُ منقادًا على الكُرْه أو في حكم المنقاد، والإهانَةُ أن يجعلَهُ صغيرَ الأمْرِ لا يبالي به، والشاهدُ قولك: اسْتَهَانَ به أيْ لمْ يبال به ولم يلتفتْ إليه، والإذْلَالُ لا يكون إلَّا مِنَ الأعْلَى للأدْنى، والاستهانةُ تكونُ من النَّظِير للنَّظِير، ونقيضُ الإذْلالِ: الإعْزَازُ، ونقيضُ الإهانةِ الإكْرَامُ فليسَ أحدهما من الآخر في شيءٍ إلَّا أنه لما كان الذلُّ يتبع الهَوَانَ سُمِّيَ الهَوانُ ذُلًّا وإذْلالُ أحَدِنا لغيره غَلبتُهُ له على وجْهٍ يظهرُ ويشتهر، ألَا ترى أنه إذا غَلَبَه في خُلْوَةٍ لم يقل إنه أذلَّهُ؟ ويجوز أن يُقال إن إهانةَ أحَدِنا صَاحِبَهُ هو تعريفُ الغير أنه غيرُ مُسْتَصْعبٌ عليه، وإذلاله غلبته عليه لا غير، وقال بعضهم: لا يجوزُ أن يذلَّ الله تعالى العبدَ ابتداءً لأنَّ ذلك ظلمٌ ولكن يذله عقوبةً، ألَا ترى أنه من قَادَ غيْره على كُرْهٍ من غير استحقاق فقدْ ظَلَمَهُ، ويجوزُ أن يهينه ابتداءً بأن يجعله فقيرًا فلا يلتفت إليه ولا يبالي به، وعندنا أن نقيضَ الإهانةِ الإكْرَام على ما ذكرنا، فكما لا يكون الإكْرامُ من الله إلَّا ثوابًا فكذلك لا تكونُ الإهانةُ إلَّا عقابًا، والهَوانُ نقيضُ الكرامةِ والإهانَة تدلُّ على العداوةِ وكذلك العزُّ يدلُّ على العداوة، والبراءةُ والهوانُ مأخوذٌ من تهوين القدر، والاستخفافُ مأخوذٌ من خِفَّةِ الوزن والألم يقع للعقوبة ويقع للمعاوَضَةِ، والإهانةُ لا تقع إلا عقوبةً ويقال: يستدلُّ على نجابَةِ الصبيِّ بمحبته الكرامة، وقد قيل: الذلَّةُ الضعف عن المقاومة ونقيضُها العزةُ وهي القوةُ على الغلبة، ومنه الذَّلُولُ وهو المَقُودُ من غير صعوبةٍ لأنه ينقادُ انقيادَ الضعيف على المقاومة، وأمَّا الذليلُ فإنه ينقادُ على مشقَّةٍ.

«الفرق» بين الذَّليلِ والمهينِ والمُذْعِنِ أن المهينَ هو المُسْتضْعَفُ وفي القرآن ﴿ سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾[السجدة:٨] وفيه ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ ﴾[الزخرف:٥٢] قال أهلُ التفسير: أراد الضعيفَ قال المفضل: هو فعيل من المهانة ويقال مَهَن يَمْهنُ مَهانةً ومهنتُه مَهْنًا وأنا ماهِنٌ وهو مَهُونٌ ومَهِينٌ، ويقال هو من المهنة وهو العمل وامْتَهَنْتُهُ امْتِهَانًا إذا ابْتَذَلْتُهُ، ومن ثم قيل للخادم مَاهِنٌ والجمع مَهَنَةٌ ومِهَانٌ، وأما الإذْعَانُ في العربية فهو الإسراعُ في الطاعة وليس هو من الذُّلِّ والهَوْن في شيءٍ.

«الفرق» بين الحقِير والصَّغير أن الحقير من كلِّ شيء ما نقُصَ عن المقدارِ المعهود لجنسه، يقال: هذه دجاجةٌ حقيرةٌ إذا كانت ناقصةَ الخلْقِ عن مقادير الدَّجاج ويكون الصغر في السن، وفي الحجْم، تقول: طفلٌ صغيرٌ وحجرٌ صغيرٌ، ولا يقال حَجرٌ حقيرٌ؛ لأن الحجارةَ ليس لها قدرٌ معلومٌ فإذا نقص شيء منها عنه سُمِّيَ حقيرًا كما أن الدجَاجَ والحَجَل [1] وماأشبهها لها أقدارٌ معلومة فإذا نقص شيء من جملتها عنه سُمِّي حقيرًا، والصغيرُ يكون صغيرًا بالإضافة إلى ما هو

(١) الحجَل: جمع حَجَلة، وهو طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين، طيب اللحم.

أكبر منه وسواء كان من جنسه أو لا فالكُوزُ صغير بالإضافة إلى الجرة والجمل صغير بالإضافةِ إلى الفيل ولا يقال للجمل صغيرٌ على الإطلاق وإنما يقال هو صغير بجنب الفيل.

«الفرق» بين اليسير والقليل أن القِلَّة تقتضي نُقْصانَ العدد، قال: قَوْمٌ قليلٌ وقليلونَ وفي القرآن: ﴿ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾[الشعراء:٥٤] يريد أنَّ عَددهُمْ ينقص عن عدة غيرهم وهي نقيضُ الكَثْرَةِ وليست الكَثْرةُ إلا زيادة العدد وهي في غيره استعارة وتشبيه، واليسير من الأشياء ما يتيسر تحصيله أو طلبه ولا يقتضي ما يقتضيه القليل من نقصان العدد، ألَا ترى أنه يقال عددٌ قليلٌ ولا يقال عددٌ يسيرٌ ولكن يقال مالٌ يسيرٌ؟ لأن جمع مثله يتيسر فإن اسْتُعْمِل اليسير في موضع القليل فقد يجري اسم الشيء على غيره إذا قَرُبَ منه.

«الفرق» بين الكَثير والوافر: أنَّ الكَثْرَةَ زيادةُ العدد، والوفور اجتماعُ آخر الشيء حتَّى يكثرَ حجمه، ألَا تَرى أنه يقال كُرْدُوس [1] وافر والكُرْدُوس عظم عليه لحم ولا يقال: كُردوس كثير، وتقول حظٌّ وافرٌ ولا تقولُ كثيرٌ وإنما تقول: حظوظٌ كثيرةٌ ورجالٌ كثيرةٌ ولا يقال رجالٌ كثيرةٌ، فهذا يدلُّ على أن الكثرةَ لا تصحُّ إلا فيما له عدد ومالا يصح أن يعد لا تصح فيه الكثرة إلا على استعارة وتوسُّع.

«الفرق» بين الجَمِّ والكثير أن الجَمَّ الكثيرُ المجتمع، ومنه قيل جَمَّةُ البئر لاجتماعها، وقال أهلُ اللغة: جَمَّةُ البئر: الماءُ المجتمعُ فيه والجَمَّةُ من الشعر سُمِّيَتْ جَمَّةً لاجتماعها، وأجْممتُ الفرسَ إذا أرحْتُهُ يتجمَّع قوته، وأجَمَّ الشيء إذا قَرُبَ كأنه قصد الاجتماع معك ويجوزُ أنْ يكونَ كثيرًا غيرَ مُجتمعٍ.

البَابُ الحادي والعِشْرُونَ

في الفَرْقِ بَيْنَ العَبَث واللعب والهَزْل والمزاح والاسْتِهْزَاء والسُّخْرِيَة وَمَا يُخالف ذَلكَ

«الفرق» بين العَبَثِ واللَّعِب واللَّهْو: أنَّ العَبَثَ ما خَلا عن الإرادات إلَّا إرادةُ حُدوثه فقط، واللَّهْوُ واللَّعِبُ يتناولهما غير إرادة حدوثهم إرادة وقعا بها لَهْوًا ولَعِبًا، ألَا ترى أنه كان يجوزُ أنْ يقَعا مع إرادةٍ أُخرى فيخرجا عن كونهما لَهْوًا ولَعِبًا؟ وقيل: اللَّعِبُ عملٌ للذَّةٍ لا يُراعى فيه دَاعي الحِكْمةِ كعمل الصَّبي لأنه لا يعرفُ الحكيمَ ولا الحكْمةَ وإنما يعملُ للذَّةٍ.

«الفرق» بين اللَّهْوِ واللَّعِب أنهُ لا لهو إلا لعب وقد يكونُ لعبٌ ليس بلَهْوٍ لأنَّ اللعبَ يكون للتأديبِ كاللعبِ بالشَّطْرَنْجِ وغيره ولا يقال لذلك لَهْوٌ وإنما اللَّهْوَ لعبٌ لا يعقب نفعًا

(١) الكُرْدوس: كل عظم نام ضخم، ورأس العظم ذي المخ وكل عظمين التقيا في مَفْصل، نحو المنكبين والرُّكبتين والوركين والجمع كراديس